

## فضل أهل بدر



أهل بدر مرتبتهم من أعلى مراتب الصحابة، وبدر مكان معروف، كانت فيه الغزوة المشهورة، وكانت في السنة الثانية من الهجرة في رمضان، وسمى الله تعالى يومها يوم الفرقان.

وسببها أن النبي ﷺ سمع أن أبا سفيان قدم بعير من الشام إلى مكة، فندب أصحابه من أجل هذه العير فقط، فانتدب منهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، معهم سبعون بعيراً وفرسان، وخرجوا من المدينة لا يريدون قتالاً، لكن الله عز وجل بحكمته جمع بينهم وبين عدوهم.

فلما سمع أبو سفيان ذلك، وأن رسول الله ﷺ خرج إليه لتلقي العير؛ أخذ بساحل البحر، وأرسل صارخاً إلى أهل مكة يستنجدهم، فانتدب أهل مكة لذلك، وخرجوا بإشرافهم وكبرائهم وزعمائهم، خرجوا على الوصف الذي ذكر الله عز وجل: ﴿بَطْرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٤٧].

وفي أثناء ذلك جاءهم الخبر أن أبا سفيان نجح بالعير، فتآمروا بينهم في الرجوع، لكن أبا جهل، قال: والله لا نرجع حتى نقدم بدرًا، فنقيم فيها ننحر الجزور، ونسقي الخمور، وتضرب علينا القيان، وتسمع بنا العرب، فلا يزالون يهابوننا أبداً.

وهذا يدل على الفخر والخيلاء والاعتزاز بالنفس، ولكن - والله الحمد - كان الأمر على عكس ما يقول؛ سمعت العرب بهزيمتهم النكراء، فهانوا في نفوس العرب.

قدموا بدرًا، والتقت الطائفتان، وأوحى الله تعالى إلى الملائكة: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرَبُوا

فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقَرُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾

[الأنفال: ١٢ - ١٤].

حدث اللقاء بين الطائفتين، وكانت الهزيمة - والله الحمد - على المشركين، والنصر المبين للمؤمنين، انتصروا، وأسروا منهم سبعين رجلاً، وقتلوا سبعين رجلاً، منهم أربعة وعشرون رجلاً من كبرائهم وصناديدهم، سُحبوا، فآلقوا في قليب من قليب بدر خبيثة قبيحة.

ثم إن النبي ﷺ بعد انتهاء الحرب بثلاثة أيام ركب ناقته، ووقف عليهم يدعهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: «يا فلان ابن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً»، فقالوا: يا رسول الله، ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ فقال: «والذي نفسي بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم»<sup>(١)</sup> والنبي ﷺ وقف عليهم توبيخاً وتقريعاً وتنديماً، وهم قد وجدوا ما وعد الله حقاً، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾﴾ [الأنفال: ١٤]، فوجدوا النار من حين ماتوا وعرفوا أن الرسول حق، ولكن أتى لهم التناوش من مكان بعيد.

فأهل بدر الذين جعل الله على أيديهم هذا النصر المبين والفرقان الذي هاب العرب به رسول الله ﷺ وأصحابه، وكان لهم منزلة عظيمة بعد هذا النصر العظيم؛ اطلع الله عليهم، وقال: «اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم»<sup>(٢)</sup> فكل ما يقع منهم من ذنوب، فإنه مغفور لهم، بسبب هذه الحسنة العظيمة الكبيرة التي جعلها الله تعالى على أيديهم.

وفي هذا الحديث دليل على أن ما يقع منهم من الكبائر مهما عظم، فهو مغفور لهم.

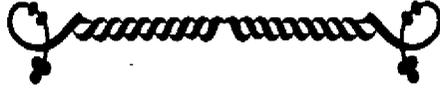
(١) رواه البخاري (٣٩٧٦) ومسلم (٢٨٧٤).

(٢) رواه البخاري (٣٠٨١) ومسلم (٢٤٩٤).

وفيه بشارة بأنهم لم يموتوا على الكفر؛ لأنهم مغفور لهم، وهذا يقتضي أحد أمرين:

إما أنهم لا يمكن أن يكفروا بعد ذلك.

وإما أنهم إن قدر أن أحدهم كفر، فسيوفق للتوبة والرجوع إلى الإسلام. وأياً كان، ففيه بشارة عظيمة لهم، ولم نعلم أن أحداً منهم كفر بعد ذلك.



## فضل أصحاب الشجرة



أصحاب الشجرة هم أصحاب بيعة الرضوان، وسبب هذه البيعة أن النبي ﷺ خرج من المدينة إلى مكة يُريد العمرة، ومعه أصحابه والهدي، وكانوا نحو ألف وأربعمائة رجل، لا يريدون إلا العمرة، فلما بلغوا الحديبية وهي مكان قرب مكة، في طريق جدة الآن بعضها من الحل وبعضها من الحرم، وعلم بذلك المشركون؛ منعوا رسول الله ﷺ وأصحابه؛ لأنهم يزعمون أنهم أهل البيت وحماة البيت ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَ إِنْ أَوْلِيَائِهِ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤]، وجرت بينهم وبينهم مفاوضات.

وأرى الله تعالى من آياته في هذه الغزوة ما يدل على أن الأولى تنازل الرسول ﷺ وأصحابه؛ لما يترتب على ذلك من الخير والمصلحة، فإن ناقة الرسول ﷺ بركت وأبت أن تسير، حتى قالوا: «خلات القصواء» يعني حرنت وأبت المسير، فقال النبي ﷺ مدافعاً عنها: «والله ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل، ثم قال: «والذي نفسي بيده؛ لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمان الله؛ إلا أعطيتهم إياها» (١).

وجرى التفاوض، وأرسل النبي ﷺ عثمان بن عفان؛ لأن له رهطاً بمكة يحمونه، أرسله إلى أهل مكة يدعوهم إلى الإسلام، ويُخبرهم أن النبي ﷺ إنما جاء معتمراً معظماً للبيت، فشاع الخبر بان عثمان قد قُتل، وكبر ذلك على المسلمين، فدعا النبي ﷺ إلى البيعة، يبايع أصحابه على أن يقاتلوا أهل مكة الذين قتلوا رسول رسول الله ﷺ، وكانت الرسل لا تُقتل، فبايع الصحابة ﷺ النبي ﷺ على أن يقاتلوا ولا يفروا إلى الموت.

وكان النبي ﷺ تحت الشجرة، يُبايع الناس بمد يده فيبايعونه على هذه البيعة

(١) سبق تخريجه .

## الْحَبَابَةُ الْكَلْبَاءُ

المباركة التي قال الله عنها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، وكان عثمان رضي الله عنه غائباً، فبايع النبي صلى الله عليه وسلم بيده عن يد عثمان وقال بيده اليمنى: «هذه يد عثمان» (١).

ثم تبين أن عثمان لم يُقتل، وصارت الرسل تأتي وتروح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وقريش، حتى انتهى الأمر على الصلح الذي صار فتحاً مبيناً للرسول صلى الله عليه وسلم.

هؤلاء الذين بايعوا قال الله عنهم: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾ [الفتح: ١٨، ١٩].

وكان من جملة المبايعين أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، فوصفهم الله تعالى بالإيمان، وهذه شهادة من الله عز وجل، بأن كل من بايع تحت الشجرة، فهو مؤمن مرضي عنه، والنبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة»؛ فالرضى ثابت بالقرآن، وانتفاء دخول النار ثابت بالسنة.

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة» (٢) قد يقول قائل: كيف نجمع بينه وبين قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم: ٧١]؟

### فالجَمع من أحد وجهين:

الأول - أن يُقال: إن المفسرين اختلفوا في المراد بالورود، فقال بعضهم: هو المرور على الصراط؛ لأن هذا نوع ورود بلا شك، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ [القصص: ٢٣] ومعلوم أنه لم ينزل وسط الماء، بل كان حوله وقريباً منه، وبناء على هذا لا إشكال ولا تعارض أصلاً.

والوجه الثاني - أن من المفسرين من يقول: المراد بالورود الدخول، وأنه ما

(١) رواه البخاري (٣٦٩٨) والترمذي (٣٧٠٦).

(٢) صحيح، رواه أبو داود (٤٦٥٣) والترمذي (٣٨٦٠).

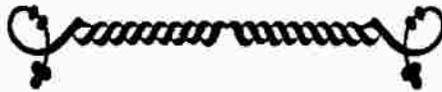
من إنسان إلا ويدخل النار، وبناء على هذا القول، فيحمل قوله: «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة»: لا يدخلها دخول عذاب وإهانة، وإنما يدخلها تنفيذاً للقسم ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ أو يقال: إن هذا من باب العام المخصوص باهل بيعة الرضوان.

وقوله: «الشجرة»: الشجرة هذه شجرة سدر. وقيل: شجرة سمر، ولا طائل تحت هذا الخلاف، كانت ذات ظل، فجلس النبي ﷺ تحتها يبايع الناس، وكانت موجودة في عهد الرسول ﷺ وعهد أبي بكر رضيه وأول خلافة عمر، فلما قيل له: إن الناس يختلفون إليها - أي: يأتونها - يصلون عندها، أمر . بقطعها، فقطعت .

قال في الفتح (١): «وجدته عند ابن سعد بإسناد صحيح لكن في صحيح البخاري (٢) عن ابن عمر رضيه، قال: رجعنا من العام المقبل - يعني: بعد صلح الحديبية - فلما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها كانت رحمة من الله، وهكذا قال المسيب والد سعيد: فلما خرجنا من العام المقبل، نسيانها، فلم نقدر عليها».

وهذا لا ينافي ما ذكره ابن حجر عن ابن سعد؛ لأن نسيانها لا يستلزم عدمها ولا عدم تذكرها بعد . والله أعلم .

وهذه من حسنات عمر بن الخطاب رضيه لاننا نظن أن هذه الشجرة لو كانت إلى الآن لُعُبدت من دون الله .



(١) فتح الباري (٧/٤٤٨) .

(٢) رواه البخاري (٢٩٥٨) .